الفصل الاول: أعلام الفكر الإسلامي المعاصر

"سعيد بديع الزمان النورسي نموذجا"

يتضمن هذا الفصل التعريف ببعض الأعلام في فضاء الفكر العربي والإسلامي، وذلك بالتعريف بهم على وجه الإجمال، ثم التركيز على شخصية فكرية لها مشروعها الإصلاحي مثل: الأستاذ بديع الزمان النورسي رائد الإصلاح الديني في تركيا الحديثة.

1- مدخل حول أعلام الفكر العربي والاسلامي المعاصر:

نفرق هاهنا بيت اتجاهين اثنين، هما: الاتجاه الديني، والاتجاه العلماني اللبيرالي. ولكل منهما مفكروه وأتباعه. فأمثال الأول: مالك بن نبي، وابن باديس، والأفغاني، وغيرهم مما سيأتي. وأما الثاني فأمثال: أركون، وحسن حنفي، وعلي عبد الرازق، وغيرهم كثير.

2- نبذة عن حياة الأستاذ ورسائل النور:

حول ظروف نشأته:

مرَّت حياة بديع الزمان سعيد النّورسي بطوريْن أو كما كان يسميها مرحلة "سعيد القديم" ومرحلة "سعيد الجديد":

سعيد القديم: وتمتدّ هذه المرحلة من ولادته إلى غاية إقامته الجبرية في "بارلا" سنة 1926م، ففي هذه المرحلة نلاحظ أنّ سعيد حاول خدمة الإسلام بالدخول في علم السياسة، وذلك عن طريق كتابة المقالات لردّ شبهات حزب الاتحاد والترقي، أما السنين الثمانية الأخيرة من هذه المرحلة فهي تعتبر مرحلة انتقالية إلى مرحلة سعيد الجديد.

سعيد الجديد: في هذه المرحلة الثانية من حياته نرى أنه قد أخذ على عاتقه مسألة إنقاذ الإيمان في تركيا، وذلك بعد أن أيقن استحالة خدمة الإسلام بالدّخول في معترك السياسة ودهاليزها وصراعاتها العقيمة. خاصة بعد إغلاق المدارس الدينية والجوامع والمساجد، وحولت مئات الجوامع

والمساجد إلى مخازن أو إسطبلات، بالرغم من أنه قدم إلى المحاكم ستة مرات فان هذه المحاكم لم تكن تجد أي دليل ملموس، على انه يقوم بشيء مخالف للنظام، بالرغم من أن السلطة كانت تشعر بخطورة رسائل النور، وما كان يهدف إلى بنائه كانت السّلطات تهدف إلى هدمه، وقد تعاهد بإنشاء جيلٍ مؤمنٍ بالله ورسوله- صلّى الله عليه وسلّم-.

بعض العوامل:

إننا نجد عدّة عوامل أسهمت في تنشئة الأستاذ وتضلعه، أسريّة قد دفعت في روح سعيد حبّ التطلّع والبحث والاكتشاف، فقد قضى سنوات عمره الأولى مع أسرته في "نورس"، حيث كان يقضي ليالي الشتاء الطويلة في القرية، بينما كان يقضي مواسم الصيف القصيرة في المراعي العالية وفي الحدائق التي تمتدّ على طول المنحدرات المنخفضة وضفاف النهر في أصل الوادي، وكان موسم الزّرع قصيرًا،لكنّه كان كافيا للوفاء باحتياجات المزارعين.لقد كانت حياته تقترب بشدّة من العالم الطبيعي،حياة تتناغم مع إيقاعاته وأفلاكه، حافلة بالعجائب بالنسبة لطفلٍ واعٍ سريع الاستجابة مثل سعيد، كان فطنًا على نحوٍ يعجب له العقل، دائم التّقصّي في حقائق الأشياء، ويظلّ يسأل ويلتمس أجوبة للأسئلة التي تجوب عقله.

وكان سعيد لا يتوانى ما سنحت له الفرصة، خاصّة في ليالي الشّتاء الطّويلة على القيّام برحلة مضنيّة إلى الكتّابين بالقرى المجاورة للاستماع إلى مناقشات الشّيوخ والطّلاّب والمعلّمين.

وقد كان لهذا أثر واضح على تكوين شخصية النّورسيّ وما قام به من أنشطة في المستقبل. ونجد في كتابات النّورسيّ بعد ذلك ما يدلّ على كيفية تأثّره بحياة أهل المنطقة العاملين على إحياء الطرق النقشبنديّة والخالديّة، والتي ذاع صيتها في القرن التاسع عشر نتيجة تأكيدها على التّعليم الدّيني، ولاسيما دراسة الفقه، والأنشطة الخيريّة أكثر من تأكيدها على البحث عن المعرفة الصّوفيّة،لتحلّ محلّ الطريقة القادرية، وتنشئ العديد من المدارس الدينيّة، والتّكايا التي أصبحت مراكز لنشر العلوم الدّينيّة التّقليديّة. ويصف شريف ماردين إقليم "خيزان" على أنّه مكتظّ بالمدارس.ويمكن أن يوضّح ذلك ببساطة كيف يمكن لقرية صغيرة منعزلة مثل"نورس"التّي يعيش

أهلها على بعض الزّراعات البسيطة غيرالموسمية أن تخرج في جيل سعيد هذا الكم الهائل من معلّمي الدّين وطلابه وعالما في منزلة سعيد".

كما تعدّ بعض القضايا والأحداث السياسية من العوامل التي ساعدت النّورسي في طرح فكره هذا، فقد شهدت الدّولة العثمانية الحديثة منذ عهد السّلطان عبد الحميد الثاني انحطاطا وتخلّفا وتدهورا كبيرا في جميع نواحي الحياة الاجتماعية، والسّياسيّة، والاقتصادية، والدينية، وسيْطر الجهل عليها، وعمّتها الفوضى والخواء الرّوحي، وفرغ الإنسان المسلم من محتواه، وسبب ذلك مؤامرات وتسابق وتزاحم أعداء الإسلام للقضاء على الدولة العثمانية باعتبارها بلد الخلافة وعاصمة الإسلام، بالرّغم ممّا بذله السّلطان عبد الحميد من جهود للحفاظ على دولته وإيقاظ العالم الإسلامي والسّيْطرة على زمام الأمور والتّصدّي للعدوّ الأوروبّي، إلاّ أنّ ذلك باء بالفشل ولم يستطع السّلطان عبد الحميد الثّاني الوقوف أمام مخطّطات وتحدّيات وتحالف المدّ العلماني، فقد بسطت نفوذها وسيطرتها على المواقف والمؤسّسات العامّة، وهمّشت التعاليم الإسلامية وصبغت البلاد بصفة قطعت أو حاولت أن تقطع كل صلة بينها وبين الإسلام.

ازدادت الأوضاع سوءًا في تركيا بالرّغم من توالي السّلاطين على الحكم، في عام 1908م بعد الإطاحة بالسّلطان عبد الحميد الثّاني بتآمر من جمعيّة الاتّحاد والتّرقي أو الاتحاديين، تولّى الحكم السّلطان محمد رشاد الّذي كان يتّفق مع الاتّحاديّين، الّذين رفعوا شعارهم الوحدة، الحرّيّة، الأخوّة، والمساواة، لتخفي وراءه دسائسه ومؤامراتها على الإسلام والمسلمين، وفي ذلك الوقت ألف بديع الزمان جمعية الاتحاد المحمدي أو كما يسمى الاتحاد الإسلامي، واستخدم نفس شعارات الاتحاديين، ولكن بالمفهوم الإسلامي، للكشف عن خدعهم التي يتسترون خلفها، وتجليا لحقيقتهم الماسونيّة.

كان هدف الاتحاديين الوصول إلى مناصب المسؤوليّة والقيادة، ونشر النّماذج الحياتيّة الحضاريّة الأوروبيّة، ولم يكتفوا بذلك، شيئا فشيئا جرّوا الدّولة العثمانية إلى الحرب العالميّة الأولى، وهذا ما كان سببًا في تمزّق الدّولة العثمانيّة وانهيارها.

وقعت البلاد أخيرًا تحت وطأة الجيوش الأجنبيّة، وجاء ذلك بعد وفاة السّلطان محمد رشاد الّذي توفّي أثناء الحرب.حيث استولى الانجليز واليونان والايطاليّون والأرمن على مناطق مختلفة من تركيا وحتّى استانبول كانت تحت سيطرة الاحتلال الإنجليزي، تولّى السلطان محمد وحيد الدّين الحكم، وكان آنذاك يكره الاتّحاديّين ولا يتّفق معهم.

لقد تركت هذه الأحداث الّتي عاشها الأستاذ النّورسي مآسيَ وآلامًا وجروحاً عميقة في وجدانه وضميره، عند مشاهدته لأمّته تعاني وتئنّ تحت وطأة أقدام الغزاة، فلم يتردد من الوقوف في مقدمة صفوف الجيش مؤدّيًا واجبه المقدّس ضدّ المحتلّين.

حاول السّلطان وحيد الدّين الهروب إلى الأناضول، والقيام بالحرب ضدّ الغزاة، وكان الشّعب مستعدًّا للتّضحية في سبيل عقيدته وحرّيته، وهزم أعداء الإسلام، ولكن سرعان استيلاء كمال أتاتورك على الحكم، أصبح المشرع الأول للبلاد، جاء بإجراءات صارمة حيْث ألغى الخلافة، واستبدل القوانين الشّرعية وفرض الحياة الغربية على الشّعب واستبدل الحروف العربيّة بالحروف اللاّتينية وحول الآذان الشّرعي إلى الآذان باللّغة التّركيّة، ومخالف هذه الإجراءات والقوانين يعاقب بأشدّ العقوبات.

عاش النّورسي في وقت سادت فيه الحروب والأحداث،وتأرجح فيه الصّراع الحضاري بين الغرب والشّرق،إذ لم تكن لتعاليم الدّين والتّعليم وجود ودور ومكانة فعالة إلاّ من خلال ما ألّفه النّورسي في رسائله فراحت هذه الرسائل تنتشر كأنّها نسيم يحمل بشائر الشّفاء لأمّة طال مرضها،وأيقظت وبعثت روح المقاومة ضدّ الهزيمة النّفسية والفكريّة التي يريد العلمانيون أن يفرضوها على أبناء الأمة،وهذا ما جعل العلمانيون يخشون من دعوة الأستاذ النورسي، ويعارضونها أشدّ المعارضة،فما كان منهم إلاّ أن يستغرقوا حياته في السّجن والتّعذيب،والانتقال من سجن إلى منفى،ومن منفى إلى محاكم.

بالرغم من الابتلاءات و الاتهامات التي تعرض لها الأستاذ النورسي إلا أنه لم يتوقف عن الدفاع عن الوحدة الإسلامية واسترجاع كرامتها بتعلقه الشديد بنزعته القومية اتجاه دينه

ووطنه، محاولا غرس هذه الصفات في نفوس المسلمين، والدعوة إليها بحجج قوية توصل الإنسان إلى اقتناع كامل، وهذه العوامل كلها تعدّ دافعا للأستاذ في تكوين منظومته الفكريّة.

وفاته: توفي الأستاذ سعيد النورسي في الخامس والعشرين من رمضان المبارك سنة 1379هـ،1960م، وقد دفن في مدينة "أورفة "ولكن السّلطات العسكريّة الحاكمة لتركيا لم تدعه يرتاح حتى في قبره إذ قاموا بعد أربعة أشهر من وفاته بهدم القبر ونقل رفاته بالطائرة إلى جهة مجهولة، وبعد أن أعلنوا منع التجول في مدينة "أورفة " فأصبح قبره مجهولا حتى الآن لا يعرفه الناس.

مؤلفاته:

من خلال اطلاعنا على التراث العلمي للأستاذ النورسي وجدنا أن له مؤلفات باللّغة العربيّة واللّغة التّركيّة، فتأليفه باللّغة العربيّة سبق تأليفه باللّغة التّركيّة، لأنّ التأليف باللغة العربية انقطع بانتهاء الدولة العثمانية،وهذه المؤلفات هي: إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، أُلّفت أثناء الحرب العالمية الأولى.والمثنوي العربي النوري وهو عبارة عن اثنتي عشرة رسالة باللغة العربية، والخطبة الشامية سنة 1911م، ألقيت هذه الخطبة باللغة العربية في الجامع الأموي في دمشق،وهو يخاطب فيها العلماء والناس جميعا، مبينا أمراض الأمة الإسلامية وعلاجاتها وطبعت هذه الخطبة تحت عنوان "الخطبة الشامية "، وعدة مؤلفات أخرى.

أما مؤلفاته باللغة التركية هي" الكلمات" وتضم33 رسالة في 768 صفحة. المكتوبات وتضم 33 رسالة في 507 صفحة، اللمعات وتضم 33 رسالة في 455 صفحة، الشعاعات وتضم 15 رسالة في 764 صفحة، وهذه الأجزاء من رسائل النور يتجاوز عددها 130 رسالة ضمت في مجلدات، ووضع لكل مجلد عنوان كما هي مبينة، وتتعلق موضوعات هذه الرسائل جميعها بالقضايا الإيمانية والمسائل التي تمس أركان الإيمان.

وألحقت بهذه الرسائل أربع ملاحق، ملحق بارلا في 348 صفحة. ملحق أميرداغفيجزأينالجزء الأول في267صفحة والجزء الثاني في 218 صفحة، وهذه الملاحق عبارة عن مجموعة رسائل توجيهية

لخدمة القرآن الكريم، وهناك رسائل أخرى ضمت إلى هذه الملاحق وطبعت في مجلد واحد وهو "ختم التصديق الغيبي" في 220 صفحة، يتناول مواضيع ورسائل لتثبيت أهل الإيمان أمام تحدّيات الكفر.

"المناظرات" طبعت في استانبول سنة 1913م،"خطوات ستة ألفها الأستاذ النورسي أثناء الاحتلال الإنجليزي لاستانبول سنة 1920 ونشره بمساعدة طلابه وأصدقائه.

يهاجم بديع الزمان ألنورسي في هذا الكتاب الانجليز بلهجة قوية وكأنه يتحداهم ويرد الشبهات التي أثيرت بحجج وبراهين من أجل صحوة ووعي المسلمين بأطماع الانجليز، ومحاكمات، وسنوحات، وطلوعات، ونقطة إشارات، والمحكمة العسكرية العرفية، والحقائق، ورموز.

نلاحظ أن هذه المؤلفات جميعها لم تؤلف في وقت منتظم، وكان تأليفها من سنة 1927م إلى سنة 1950م.

3- نظرة عامة في الفكر الإصلاحي للأستاذ النورسي:

ا- يتضح لنا من خلال شخصية الأستاذ النورسي أنه كرس جل حياته لعلاج مشكلات الأمة وأزماتها والقضاء على همومها، وتحقيق الإصلاح التربوي والاجتماعي والاقتصادي للأمة الإسلامية بمايؤهلها لعمليات النهوض والإقلاع الحضاري.

ب -ارتكز فكره الإصلاحي التربوي على أصالة المنهج المنبثق من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

وكانت الجماعة النورسية من خلال مفاهيمها ماهي إلا امتداد لفكر بديع الزمان النورسي وهي صورة صادقة عن شخصية مؤسسها.

ت - تألق رسائل النور واحتوائها على التراث الزاخر ومن شأنها تقديم حلولا للمجتمع الإنساني بشكل عام وكأنها نسيم حمل بشائر الشفاء لأمة طال مرضها.

ث- ميز الأستاذ النورسي بقوة الأفكار التي استمدها من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، فقد أقام الحجة على فساد مناهج الفلسفة الوضعية الغربية وقدم الأدلة القوية التي ترسخ قضايا العقائد الإيمانية وجمع ذلك كله في رسائله المعروفة برسائل النور، وتميز أسلوبه بالمحاكمة العقلية والنفحات الوجدانية، فمن يقرأ رسائله يشعر بالرقي المعنوي والسمو الروحاني، والرقي العقلي والفكري، فدور أو غاية رسائل النور تطهير ذهن القارئ، وتحريك قلبه وتوجيه عقله وتنبيه روحه فيصبح خادما حقا للقرآن الكريم في أخلاقه وسلوكه وكلامه وعمله وتفكيره،أي في جميع تصرفاته .

- رأينا أن الأستاذ النّورسي لديه رؤية متقدمة لمختلف الإشكاليات المطروحة في الساحة الثقافية والفكرية التي هي موجودة في واقعنا وعصرنا اليوم، لقد أعطى تشخيصا لعدد من الأمراض التي أصيبت بهاالأمة الإسلامية في مختلف المجالات والميادين الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والتربوية، وتقديمه في نفس الوقت العلاج المناسب والحاسم لها، انطلاق امنالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، بوعي ناضج وبصيرة منبعها الإيمان والإخلاص .

ج -لفكر النورسي أدوار مستقبلية يستفيد منها العالم الاسلامي وما يؤكد ويدعم مصداقية الفكر النّورسي هو شهادات الدّارسين والعارفين له.